

تاسعاً : العدول عن تنوين اسم الفاعل لأن حدوثه عوض عن استمراره وبقائه منذ

الزمن الماضي :

كما جاء العدول عن تنوين اسم الفاعل عندما يكون ما هو متجدد في الحال والاستقبال عوضاً عن أمر مستمر وثابت من الزمن الماضي ، فيبين العدول أهمية بقاء هذا الأمر الماضي ، وهو مسوَّغ العدول في هذا المبحث .

بالغ :

جاء اسم الفاعل "بالغ" مضافاً إلى الاسم الظاهر مرتين ، فجاء في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَذِيَّا بَالِغِ الْكَعْبَةِ ﴾ (المائدة : ٩٥).

يقول الزمخشري: ((ووصف "هدي" بـ "بالغ الكعبة" لأن إضافته غير حقيقية ، ومعنى بلوغه الكعبة أن يُذبح بالحرم)) (١) فالمراد بالكعبة: الحرم ، والعدول عن لفظ "الحرم" إلى لفظ "الكعبة" لداع يوضح سبب العدول إلى الإضافة.

فالكفارة -هنا- كفارة صيد الحرم حتى يظل الحرم آمناً ، أمناً لكل ما فيه ، ويبقى بقاءً دائماً -بإذن الله- لا ينتهك من البشر ، مثل بقاء الكعبة من القدم أمانة ، وهي حرمة إلى يوم القيامة ، يقول ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ (البقرة : ١٢٦): ((وقد وردت أحاديث أخر تدلّ على أن الله تعالى حرم مكة قبل(*) خلق السماوات والأرض كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة...")) (٢).

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٦٣/٢

(٢) لعل ابن كثير يقصد: يوم خلق السماوات والأرض.

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٠٧/١

وانتهاك هذه الحرمة القديمة والباقية يقتضى كفارة تحل محل الصيد
الآمن ، فتكون الكفارة (الهدى) بذلك آمنة مستمرة في أمنها وبقائها كبقاء
الكعبة.

لذا جاءت صيغة الإضافة التي تفيد الاستمرار إشارة إلى أن الهدى
يؤول إلى أمن الحرم وهو أمنٌ مستمر وثابت كالكعبة ، أو بالغ ما بلغته الكعبة
من الحرمة واستحقاقها للأمن على الدوام.

فالعدول عن لفظ "الحرم" إلى لفظ "الكعبة" في "هدياً بالغ الكعبة" ؛
للدلالة على عظم هذه الكفارة (الهدى) لأنها تُثَمِّمُ أمن الحرم ، فجعلها واصلةً
(بالغة) إلى الكعبة أعظم ما في الحرم.

والعدول عن التثوين إلى إضافة اسم الفاعل "بالغ" ليبين أن الهدى
يوصف بما هو ثابت ومستمر في اتصاله بالكعبة ، لأن الهدى جزء من أمن
الحرم الثابت والمستمر.

وجاء اسم الفاعل "بالغ" في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ
بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ (الطلاق: ٢-٣).

والتركيب الإضافي -هنا- قراءة حفص ، فهو عدول عن التثوين ، يقول
النبأ: ((والباقون بالتثوين والنصب على الأصل))^(١) أي: "بالغ أمره".

قال الزمخشري: ((أي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه
مطلوب))^(٢) وقال ابن كثير: ((أي منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريد
ويشأوه))^(٣).

وسياق "بالغ أمره" يتحدث عن أحكام الطلاق ، ويأمر بمراعاة حدود
الله في ذلك ، فتشترك مع "بالغ الكعبة" في أن النهي عن قتل الصيد إبقاءً للحياة
والأمن داخل الحرم ، والطلاق مفارقة للنكاح الذي هو سبب الحياة ، وكما أن
القتل إخراج للصيد عن دائرة الحرمة، جاء قوله تعالى بمثل ذلك: ﴿لَا

(١) النبأ ، إتحاف فضلاء البشر ، ٥٤٦

(٢) الزمخشري ، الكشاف ، ٤/٤١٥

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٨/٩٥

تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ» (الطلاق: ١) ففيه تشبيه الأسرة بالحرم ، كما يقال: "حَرُمَ الرجل" ويراد به أسرته.

وإذا كان "بالغ الكعبة" إكمالاً لما نقص من حرمة الحرم على وجه الاستمرار ، فإن التركيب الإضافي "بالغ أمره" يدلّ على أن من يلتزم بحدود الله تعالى ويتوكل عليه يصل الله إلى حاجته ويكملها له ، فالإضافة تفيد علم الله الدائم بحاجات خلقه ، والتأكيد على إكمال الله تعالى لحاجات من يتوكل عليه على وجه التحقق والاستمرار في الإجابة ، كحسب للاستمرار في تقوى الله ومخافته في أمر الطلاق.

أما قراءة التنوين "بالغ أمره" فتفيد إجابة الله تعالى لمن توكل عليه كلما اضطر المتوكل ودعا الله ، فهي على وجه التجدد.

فالعُدول عن التنوين الدالّ على التجدد إلى الإضافة الدالة على التحقق في الزمن الماضي والاستمرار ؛ مراعاةً لقدرة الله الدائمة السابقة على كل شيء ، وتأكيداً على إجابة الله لمن توكل عليه فهي كالتحقق الموجود.

كما أن الإضافة تفيد إكمال الله المستمر لحاجات من يتقيه ويتوكل عليه، خاصةً في شأن الطلاق الذي حرصت الآيات على جعله حداً من حدود الله تعالى ، وغلّظت الأمر بالتقوى فيه ، لأنه يتعلق بحرمة الأسرة وبنائها.

فالآيات تحرص على استمرار الحياة داخل الأسرة وذلك يكون بتقوى الله والتوكل عليه الدائمين ، فإن مراعاة حدود الله تعالى إكمالاً دائماً لما يعترى الحياة الأسرية من نقص، يجعل جزاء مراعاة حدود الله إكمال الله الدائم لحاجات من يتوكل عليه ، كما أن الهدى -وهو عوض عن التعدي- على حدود الله- يكمل ما اعتدى الحرم من نقص ، لتظلّ الحرمة على وجه الدوام ، وتظل بتقوى الله والتوكل عليه ومراعاة حدوده الحياة الأسرية في حرمة من الله تعالى. فداعي التأكيد على إجابة من يتوكل على الله تعالى ، أن التوكل على الله وتقواه -هنا- إكمال مستمر ودائم للحياة الأسرية فأسبغها ثبوت الإضافة.